

الجمال في الشعر والحب

(المرأة)

للأستاذ الحوماني

صاحب مجلة الروية البيروتية

الجمال وحى الطبيعة يُلهمه الشاعر من أبنائها ليكون صلة بينهم وبين المثال الأعلى في الحياة . فهو رسول أمه الطبيعة يرسل بنات أفكاره إلى قومه فترفع يمينها حجاب الغفلة عنهم ، ثم تمر بها على أعينهم فتسمح عنها غشاها الجهل ، وتقابلهم يسارها بمرآة الحياة فيتبينوا فيها من نفوسهم البائسة رموزاً تشير لهم إلى مُثل الحياة العليا

والشاعر ينشد الجمال في كل شيء فيفتن بكل جزئ منه ، ولكنه أشد امتناناً بما هو إلى الروح أقرب منه إلى المادة ، ولا أقرب إلى الروح من هذا الذي يشاركه الشعور بالحياة وينشد معه ذلك الجمال

يفتن بالمرأة التي هي رمز الجمال التام في الحياة ، يفتن بها للجمال ، ويفتن لها بكل مافي الحياة من جميل يشعربه . فالجمال التام علة لفتنة الشاعر بالمرأة ، أما المرأة فهي علة لفتنته بكل مايشير إلى هذا الجمال الكلي من جمال جزئي في نبات أو جماد ، فالشاعر ينشد الجمال في الحياة ولن يظفر به كما يشاء إلا عن طريق الحب :

وهل المرأة إلا رمز الحب الخالد ؟

الشاعر كالطائر يخلق في أفق الجمال ، وكما يقع الطائر على الشجر يفتن عن الثمرة الناضجة ليتقوم بها ، حتى إذا بلغها وقف حياها يداعب الروض من على فننه ، هكذا يقع الشاعر على المرأة إلهة الجمال يستلهمها الشعر فيشخص إليها وهي بميته تمر على وجهه يدها البيضاء ، وتمسح عينيه بينان يحس روحها من ورائه ترف على أهدابه

فهو من أجلها « يصعد الزاوية ، والقمر يهبط من عليائه ، فيقترب التراب ، ويتوسد الصخر ، يصني إلى نجمي الكواكب فيستوحى منها الشعر ثم يلهمه الطبيعة ؛ حتى إذا تنفس صبحه ،

كان أسقفاً مسيحياً ، فطمحت نفسه إلى رتبة كهنوتية فوق رتبته ، ففضب عليه البابا غرمة ، فادعى النبوة نكابة به !!! قال لي المرحوم ميلانجو هذا القول مستغرباً مستحياً بعد أن عاشر فضلاء المسلمين في الجزائر ودمشق ، وفهم حقائق كثيرة عن الديانة الإسلامية جعلته على قاب قوسين من اعتناقها والأعجب من قول الأستاذ ميشيل السابق قوله الآخر : « إن الأحاديث الإسلامية مختلفة اختلافاً » ، أي إنها كلها مكذوبة على النبي

لكن أيصح من حضرته هذا الحكم الجائر على الأحاديث لوجود طائفة من الأحاديث موضوعة مكذوبة ؟ إن دعواه هذه كدعوى أحد المسلمين أن الأناجيل الأربعة باطلة لا أصل لها ، لأن هناك أناجيل وهي المسماة « أبو كريف » موضوعة لا أصل لها !!

والعجب الثالث ، (وهو لعمري مثار للدهش أيضاً) قول الأستاذ ميشيل :

« إن المبدأ الساري منذ الأجيال بين علماء الغرب والشرق بأن الشرع الإسلامي مستقل تمام الاستقلال عن بقية الشرائع اللاتينية ، ليس إلا أسطورة » !!

إذن قام الأستاذ ميشيل في « وجه علماء الغرب والشرق » يفهمهم حقيقة بجهولها ، ويبرهن على كذب أسطورة يزعمونها وهي أن شريعة الإسلام شريعة لاتينية !!

أدرك هذا هو وحده ، وجهله علماء الشرق والغرب !! ولذن يحق لي أن أنسحب من ميدان البحث وأترك الكلام فيه لعلماء الشرق والغرب ، فلعل فيهم من يقدر بزلاقة لسانه ونصاعته بيانه أن يقنع حضرة الأستاذ ويفهمه خطأه

ألى هذا الحد يجهلنا ابن وطننا الأستاذ ميشيل بولص ويجهل تاريخنا الديني ؟

أيصح لأبناء أمة واحدة ، في بقعة واحدة ، أن يجهل بعضهم بعضاً كل هذا الجهل ؟

وأخيراً أقول : إن ابن وطننا الأستاذ ميشيل لم يسيء إلى الأمة الإسلامية وكرامتها ، بقدر ما أساء إلى « الدكتوراه » وشهادتها .

عبد القادر المقرئ

فليس لقول القائل :

أبصرت دون شماب مكة مصعباً

سبعاً أجزت وكلهن جميل

من التأثير البالغ في نفس السامع ما لقول الآخر :

وتعلكت قلبي ثلاث كالدي زهر الوجوه نواعم الأبدان

للفرق بين اجمال الأول ، وتفصيل الثاني

وقد يفتن الشاعر في وصف من أحب لمجرد البث والتغلب

على اليأس بما يكون للنفس عزاء وسلوة

وقد يشمر بما يحب للشعر ، كما قد يحب فيما يشمر للحب

وليست ميزة الشاعر في النداء على جمال من يفتن في وصفها

وإنما الميزة في اثبات ذلك الجمال في نفس السامع والذهاب بها

في اللذة مذاهب تركها وفقاً على جمال ما تسمع حتى كأنها تنظر

إليه وتلمسه وتشمه فتشمر به شعور من وقفها عليه ، وليس في

ذلك للاجمال يد طولى وهو يمر بالنفس لهاً بينا الشعر يعين في

تمكينها منه عن طريق التفصيل

أفلا تبصر قوله :

بالذى ألهم تمذبي بي ثناياك العذابا

والذى ألبس خديك من الحسن نقابا

والذى أودع في فيه ك من الشهد رضايا

والذى صير حظي منك هجرآ واجتبابا

ما الذى قالته عينا ك لقلبي فأجابا ؟

كيف يهز النفس بما فيه من روعة لم تكن لتتوفر في كلماته

لو أجزل فقال :

بالذى أفرغ في قا ليك الحسن العُجابا

ما الذى قالته عينا ك لقلبي فأجابا ؟؟؟

فان في تمداد جزئيات الجمال في الأبيات الأولى ما يشغل

النفس في تصورها ، فيثبت فيها جمال الوصف والواصف ثم

الموصوف آخر الامر ، وهي في مجموعها مصداق البيت الأول

من البيتين الآخرين وهما كما ترى

تحب في المرأة وأنت شاعر خلاف ما تحبه منها وأنت

لا تشمر ، فالشاعر يحب المرأة لجمالها الذاتي ، وغيره يحبها لجمال

وهبط إلى الأودية فهم فيها عانكا في بحر ضبابها ينشد هذا الجمال ،

وقفت به آلهة الشعر بين الرياض ، والصبح لما تحمد أنفاسه ،

فأحسنى على الورد بلثمه ، وعلى الترجس مسح دمه ، يضع خده

تحت الزهرة وبده فوق كبد يكاد بعصرها دمعاً يتحدر على

وجناته « (١)

وهو من أجل آلهته تلك « يمسك الماء ، ويقبض على

الريح ، سيباً وراء الجمال في الحياة ، وهو هائم به ، ولله الروح

التي تخفق بين جنبيه ، والشعر الذى يحوم على شفثيه «

يستحيل على الشاعر ، وهو رسول الجمال ، أن يكتم شعوره ،

فما بينه وبين إبلاغ رسالته إلا أن يشمر ، وربما بلغ هذه الرسالة

بدمعه :

وإذا الحزين بكى ولم بك شاعرآ فالشعر ما نطقت به عبراته

« أو ما تراه ، وقد جلس إلى ظل سرحة ، أو إلى جنب

صخرة ، على رابية يراقب منها نزاع الشمس بين يدي الغيب ،

فتحس كأن شعوره يغيب معها في ظلمات الحزن ؟؟؟

وقد يخنو على الزهرة في حر الظهيرة يقبها لفتح المهاجرة

بنفسه ، فكلمها ألوى بها الذبول شاطرها جفاف الروتن وشحوب

اللون ، وربما لصقت بالأرض ففسلها بدمعه وود لو واراها في

حنايا ضلوعه «

ذلك هو الشاعر الصامت ، لم يخلد بشعره لكن بروحه

الشاعرة ، ولم يشمر بلسانه لكن بقلبه المتفجر عيوناً تفيض

بالدمع على خديه

يفتن الشاعر في وصف المرأة وتأثير جمالها لاليعلم هذا الجمال

الى الملاء ولا ليلفت إليه نظر الناقل عنه فحسب ، وإنما يريد بذلك

الى تأدية ما حتمل من أمانة ، أن يتأدى على جمال نفسه بما أدرك

من جمال ، ثم لينت في نفس السامع ما يحمله على عنبر في الهيام

به ، من أجل ذلك يعمد في وصفه الجمال الى التفصيل دون الاجمال

فلن تستطيع أن تبث في نفس سامعك دعابة لهذا الجمال

وأنت تجمل في وصفه حتى تألى على جزئياته مفتتاً في إنباتها

على مرآة النفس الشاعرة عن طريق القلب

(١) هذه النقطه وما يليها من القطع المقوسة منتبسة عن كتاب المآسى

(للحوماني) صاحب المقال

مستشرق اسباني

في طليعة علماء أسبانيا الحديثين يظهر اسم جوليان ريبيرا في عالم البحوث المؤرخ المتفاني في قلب تاريخ أسبانيا في جميع أطواره ومراحله . وهو متضلع من اللغة العربية ومطلع كل الاطلاع على تاريخ آدابها وله فيها أبحاث جليلة . وليس ريبيرا من اللغويين الذين يقصرون مهمهم على درس قواعد اللغة العربية شأن أكثر المستشرقين الأسبان باستثناء العالمين غايانكوس وكوديرا ، بل جاوزه إلى التاريخ والثقافة العربية فمضى بهما عناية البهانة المدقق والعالم المحقق

اعتبر ريبيرا أن للتاريخ الاسلامي كما لتواريخ بقية الأمم وجهين . السياسي والأدبي . وقد اکتفى المستشرقون الأسبان قبل ريبيرا بدرس الحوادث السياسية دون أن يهتموا بتأريخها . وان لهذا الإهمال عذره وأسبابه ، فالبهانة التاريخية يبدأ بدرس الناحية السياسية لأن حوادثها أكثر وضوحاً وأسهل درساً وأقرب مثلاً من درس تاريخ الثقافة وكيفية نشوئها وتطورها مما يقتضي البحث في أخلاق الأمة وعاداتها وطرق معيشتها ونظمها الأدبية والاجتماعية والدينية لكي يتمكن من تفهيم ما نعتبر عنه بكلمة - تمدن - التي هي لباب التاريخ ، ولكي تتوصل إلى الإلمام بكل هذا وجب علينا أن نبدأ بما هو أبسط وأجلى وهو الوجه السياسي أي الخارجي

إن درس التاريخ يخضع للقاعدة ذاتها التي يخضع لها درس الفلسفة ، إذ لا يمكن البحث فيما وراء الطبيعة إلا بمد فهم علم الطبيعة . وعلى من شاء درس تاريخ التمدن درساً وافياً أن يكون مراقباً بصيراً ومدققاً حصيفاً يتمكن من فهم الحوادث وتمحيصها وغربلتها ، لأن الحقيقة كثيراً ما تختفي وراء نقاب شفاف من الظواهر الخداعة . وينبغي له أن يكون ذا قدرة على جمع الحوادث ووصلها واستنطاقها والمقابلة بينها . وأخيراً أن يكون ذا ضمير حيّ فيما يرثيه وبطله

لم يقدم ريبيرا في أواسط القرن الماضي على درس تاريخ التمدن الاسلامي الشرق عامة . والأندلس خاصة إلا بعد أن

ما يحف بها ، فقد يفيدنا النبيُّ للجمال ، وقد يستوي به ما يمت بها إلى نسب عريق ، وربما كان علمها سيبياً في أسر هواه ، أما الشاعر فلم يكن ليحب المرأة يفمرها المال ، ويزهوها النسب ، ويسمو بها العلم ، وهي بعيدة من روحه الهامة بالجمال . ومقياس هذا الشعور به شدة وضغفاً تجده في جمال من يحب كالألوان ونقصاً

فلن تستطيع أن تحكم على الشاعر بمثل ما يهيم به من جمال ، ولكنك ، وأنت تحكم عليه ، يجب أن تكون شاعراً لثلاث بقوتك من أسرار الجمال ما تشمر به وأنت غافل عنه

تقد يقف في طريق الشاعر إلى حب المرأة أن يشتم منها ما يكره ، وهي قطعة من جمال الحياة ، روحاً وجسداً لولا أنها أهملت جسدها أن تتمهده بالنظافة فكان ذلك حائلاً دون خلوصه إلى روحها إذ كان نقصاً بيناً في جمال هذه الروح

وربما هام الشاعر بالمرأة ، وهي ناقصة الجمال ، لتضائل ما يدور من نقصها في عينه إلى جنب ما امتازت به من جمال يأخذ العين والأذن بما فيه من سحر ، فهو إذ ذاك أعمى عن كل ما ينقصها لما تغتن في تنمية هذه الناحية فيها وصرفه عن الشعور بما عداها

وكثيراً ما تستطيع المرأة أن تسبغ جمال روحها على ما يشين جسدها من قبيح فتشرب على شعور الهائم بالجمال بما امتازت به من خصائص النفس ، فلشاعر إذ ذاك العذر في قصر هواه على جمالها الناقص

وله هذا العذر أيضاً في محيط غناه وليس فيه من ربات الجمال التام من يهيم بها قلباً إلى الجمال الناقص يهيم به ويسبغ عليه فنه الخالد إذ كان هو الجمال التام عنده

وهكذا هو مع المرأة التي مئى بها قبل أن يشمر وهي ناقصة الجمال ، فلما دق شعوره بالحياة نظر إليها نظرة شاعر فوقف منها على ما خفي عنه من قبل ، ورأى أن في المدول عنها عذاب الضمير ثم التياث الفرض من وراء ذلك كله ، فحمل نفسه على القنوع بها وأغضى عما يمترضه من جمال خارج ، فكانت هي عروس خياله تجلو عليها آماله وينفعها من شمره بما تخلد به إلى جنبه

الهرماني